PISSN : 2571-9904 - EISSN : 2602-7763

معيقات الاتصال عن بعد في التعليم العالي في ظل جائحة كورونا.

Obstacles to remote communication at the higher education in the shadow of the Corona pandemic

مريم بوشارب.

جامعة باجي مختار-عنابة (الجزائر) *bouchareb_meriem@yahoo.fr*

تاريخ الاستلام: 12/ 01/ 2022 تاريخ القبول: 09/ 02/ 2022 تاريخ النشر: 31/ 03/ 2022

ملخص:

يشهد العالم اليوم أزمة صحية عالمية جراء الانتشار الكبير و الواسع لفيروس كورونا، مخلفا أزمات متعددة المجالات، ما استدعى كثير من الدول استعجال وضع استراتيجيات لحل هذه الأزمات المتعددة الأبعاد، وقد كانت الجزائر من بين هذه الدول، حيث تبنت مجموعة من الإجراءات في مختلف القطاعات بعد ان فرضت وزارة الصحة الجزائرية حجرا صحيا لعدة اشهر كان من ضمن تابعاته تعليق الدراسة بجميع الأطوار ما ألزم وزارة التعليم العالي ضرورة البحث عن اجراءات عملية تضمن حد أدنى من سير العملية التكوينية وذلك عن طريق تقنية التواصل عن بعد من خلال إدراج منصات رقمية على المواقع الرسمية للجامعات، يتم من خلالها وضع الدروس و المحاضرات للطلبة، وهي في الحقيقة تجربة أولى عاشها ومازال يعيشها التعليم العالي في الجزائر، غير ان هذه التجربة في الحقيقة لم تكلل بالنجاح إذ اعترضتها عدة معيقات وأسباب متداخلة ومعقدة منها ما هو تقني ومنها ما هو سوسيوثقافي. وسنحاول من خلال هذا المقال الكشف عن المعيقات السوسيوثقافية للاتصال.

الكلمات المفتاحية: الاتصال؛ جائحة كورونا؛ ثقافة المشافهة؛ الفضاء الاجتماعي؛ الفعل الاتصالي؛ الذات الاجتماعية.

Abstract:

Today, the world is witnessing a global health crisis as a result of the large and widespread spread of the Corona virus, leaving multi-field crises. This prompted many countries to rush to develop strategies to solve these multi-dimensional crises.

Algeria was among these countries, as it adopted a set of measures in various sectors after the Algerian Ministry of Health imposed a quarantine for several months, among which was the suspension of studies in all phases, which obliged the Ministry of Higher Education to search for practical measures that guarantee a minimum course of action. This is done by means of remote communication technology through the inclusion of digital platforms on the official websites of universities, through which lessons and lectures for students are placed.

This experience, in fact, is the first of its kind, experienced by higher education in Algeria. However, this experiment was not successful, as it was encountered by several obstacles and overlapping and complex reasons, some of which are technical and some are socio -cultural. Thus, we will try, through this article, to reveal the socio - cultural obstacles to communication.

Keywords: *Connection; Corona pandemic; oral culture; social space; communicative act; social self.*

I. مقدمة

يشهد العالم اليوم أزمة صحية عالمية جراء الانتشار الكبير و الواسع لفيروس كورونا هذا الأخير الذي زعزع اليقينيات المطلقة للعالم الغربي مخلفا أزمات متعددة المجالات : اقتصادية ، اجتماعية ،سياسية ، تربوية ، تعليمية...الخ .ما استدعى كثير من الدول استعجال وضع استراتيجيات لحل هذه الأزمات المتعددة الأبعاد ،وقد كانت الجزائر من بين هذه الدول ،حيث تبنت مجموعة من الخطط والإجراءات في مختلف القطاعات بعد ان فرضت وزارة الصحة الجزائرية حجرا صحيا لعدة اشهر كان من ضمن تابعاته تعليق الدراسة بجميع الأطوار والتعليم العالي على رأسها ، ما ألزم وزارة التعليم العالي ضرورة البحث عن اجراءات عملية لتجاوز الأزمات التي خلفها هذا الحجر، مهتدية بذلك إلى حلول تضمن حد أدنى من سير العملية التكوينية وذلك عن طريق تقنية التواصل عن بعد من خلال إدراج منصات رقمية على المواقع الرسمية للجامعات، يتم من خلالها وضع الدروس و المحاضرات للطالب .وهي في الحقيقة تجربة أولى عاشها ومازال يعيشها التعليم العالي في الجزائر ،غير ان هذه التجربة في الحقيقة لم تكلل بالنجاح إذ اعترضتها عدة معيقات و أسباب متداخلة ومعقدة منها ما هو تقني ومنها ما هو سوسيوثقافي.

فماهي يا ترى المعيقات السوسيوثقافية للاتصال عن بعد في التعليم العالي في ظل جائحة كورونا؟

وقد تم بناء موضوعنا بالاعتماد على المنهج المونغرافي باعتباره المنهج الأنسب لدراسة الفضاء، وثقافة المشافهة بل هو الطريق الملكي لدراسة التمثلات.

حيث هدفنا من خلال هذا المقال إلى الكشف عن المقاربات النظرية المتعددة المداخل والتي كثيرا ما تجاهلتها بحوث الإعلام والاتصال والتي لا يمكن بناء أي موضوع في هذا المجال إلا من خلال الاتكاء وإلا سنقدم بحوثا سطحية مبتذلة لا تقدم أي إضافة.

وقد تم اعتماد **خطة الدراسة** التالية:

أولا: الفضاء الاجتماعي والفعل الاتصالي
ثانيا: الاتصال والذات الاجتماعية
ثالثا: الاتصال وثقافة المشافهة

يقول كلود ليفي ستروس في تعريفه للاتصال «يمكننا في عمق الأشياء أن نعرف الثقافة على انها الاتصال المنظم، وعلم الاجتماع بانه النظرية العامة للاتصال " (Strouss, 1984, p. 83)، فالاتصال حسب **كلود لفي ستروس Claude Lévi-Strauss** لا يمكن أن يدرس إلا في كنف علم الاجتماع بنسقه الثقافي بعيدا عن اي طرح تقنوي هذا الأخير الذي سيطر ووجه كثير من البحوث في العلوم الاجتماعية والإنسانية واختصر العملية الاتصالية في الإعلام والوسائل التكنولوجية الحديثة. وهو ما نادى إليه أيضا **ايف وينكن Yves Winkin** حيث أكد هذا الأخير على ضرورة سحب مجال البحث في الاتصال من الاتصال التلغرافي إلى مجال الاتصال الدرامي" (Winkin, 1996, p. 10).

إن الفعل الاتصالي في الحقيقة تجربة ثقافية وهو بذلك ظاهرة سوسيوانثروبولوجية تتشكل داخل نسق ثقافي وفي وجود ذوات اجتماعية(جمع ذات) داخل فضاء اجتماعي له خصائصه ومكوناته فلا يمكن إذا ان ندرس الاتصال إلا كتجربة ثقافية وفي هذا المقام يؤكد لنا جورج هربرت ميد **George Herbert Mead**

"إن المثل الأعلى للمجتمع الإنساني هو المثل الذي يقرب الأشخاص بشكل حميمي والذي يطور النسق الضروري للاتصال بشكل متكامل ...فمن أجل تطوير الاتصال لا يعني الأمر مجرد تبادل أفكار مجردة ، لكن يجب ان نضع أنفسنا مكان الأخر من أجل الاتصال برموز لها دلالة" (Mead, 1963, pp. 275-276).

ومما سبق سنحاول مناقشة معيقات الاتصال في التعليم العالي بناءا على ثلاثة مفاهيم مركزية، وتوظيفها كأدوات تحليل مهمة بل كمداخل نظرية يتم تجاهلها باستمرار عن قصد او غير قصد في الدراسات السوسيولوجيا وكذلك الاتصالية في الكشف عن الخلفيات السوسيوثقافية لعملية الاتصال

جب أن تحتوي مقدمة المقال على تمهيد مناسب للموضوع، ثم طرح لإشكالية البحث ووضع الفرضيات المناسبة، بالإضافة إلى تحديد أهداف البحث ومنهجيته.

أولا: الفضاء الاجتماعي والفعل الاتصالي

يرتبط الفضاء بالهوية والذاكرة الجماعية فهو بمثابة "العالم المنظم "بالنسبة للمجموعة التي ترتاده، بمعنى ان هوية الأفراد وذاكرتهم تتأسس وفق معالم هذا الفضاء " (Marcillo, 1999, p. 146)

وإذا أسقطنا هذا التعريف على الفضاء الأكاديمي فانه لا محال سنكون أمام طلبة لهم هوية وذاكرة مشتركة تأسست داخل الفضاء الجامعي ويصبح من الصعب ان يفصل الطالب عن ذهنه صورة ذلك الفضاء وكذلك الكثير من الممارسات والسلوكات التي لا تصلح إلا بين جنباته، بمعنى اخر يؤثث الطالب في ذهنه العملية التكوينية جاعلا من الفضاء بمكوناته الفيزيائية (الجامعة، المدرج، الفاعلين الاجتماعيين...إلخ) مرجعا له كفضاء اجتماعي مأهول بالأحداث والتفاعلات والعلاقات.

يحيل المدرج أو القسم كفضاء مرجعي على معرفة منظمة ذات دلالة قوية لدى الطلبة، فالفضاء هو الإطار الذي تبنى فيه العادات، طرق التفكير، السلوكات، العلاقات من خلال التفاعل المستمر مع مكوناته، فتأخذ هذه العلاقات تعبيرات فضائية ويجسد هذا الأخير البعد العلائقي للعالم الاجتماعي (الطلبة داخل المدرج).

إن الفضاء حسب بورديو" مزود بقوة تنظيم لممارسات وتمثلات الأعوان الاجتماعيين" (Bourdieu, 1980, p. 25) وبهجره تفقد هذه التمثلات معالمها ومن تم تزول فعالية الممارسات التي تأسست فيه.

إن مشكلة تمثل الفضاء في مجتمع خاص تتموضع حول مفهوم السلوك والاتصال داخل هذا الفضاء الذي" تهيكله علاقة الإنسان بهذا الفضاء وبصورة اوسع بالمجتمع الذي يتواجد فيه كعنصر فاعل، يحمل كل فضاء خصوصية ما يمارس فيه وكيف يتم التعامل داخله من خلال الحدود التي يرسمها ويرتسمها في أدهان من يترددون عليه" (المحمود، 2008، صفحة 45)

إن الفعل الإتصالي إذا سلوك يبنى في فضاء اجتماعي غني بالعلاقات الناتجة عن التفاعلات والذي يعتبر ركحا لها، فالفضاء حسب ميشال مافيزولي يندمج في منظومة الأفعال (Michel, 1978)، بل إن العلاقة مع الفضاء هي علاقة رمزية فالمدرج فضاء مادي ذو دلالة رمزية

باستحضاره، تحضر كل التفاعلات والعلاقات. الخ كما ان العلاقة مع الفضاء علاقة ذاتية وجماعية، لأن الفرد يتحرك في الفضاء وفق مرجعية الجماعة فلا يمكن تصور علاقة بيداغوجية إلا في وجود طلبة واساتذة.

إن العلاقة التأثيرية المتبادلة بين الأفراد والفضاء " تتحول بفعل التعود إلى علاقة حميمية، يترك هدمها او قمعها أثار كارثية على الطرفين" (فريدة، 2018، صفحة 76).

وهو ما يفسر عدم فعالية الفعل الإتصالي عن بعد في الجامعة الجزائرية أين تغيب معالم الفضاء الاجتماعي (التواصل الجسدي، تفاعلات مستمرة ومستقرة بين الطلبة فيما بينهم وبين الطلبة والأستاذ) التي تأسس عليها الفعل الإتصالي لدى الطالب وهو الحال لدى

المهاجر الذي يهاجر بلده فاقدا بذلك كل شروط الاستقرار النفسي والعقلي بافتقاده لكل معالم فضاءه نتيجة ارتباك منظومة أفعاله في غياب تمثلات لم تعد تتطابق مع الواقع.

ثانيا: الاتصال والذات الاجتماعية

يعرف جون ديوي الاتصال "على انه الطريقة التي تتمكن عبرها التجمعات البشرية من أن تجد أشياء مشتركة حتى تعيش سويا" (Bougnoux, 1998, p. 116).

إن البحث عن أشياء مشتركة لا يمكن ان يكون إلا من خلال التجمعات هذا الأخير الذي "يولد التفاعل الاجتماعي والذي بدوره يولد المعنى والمعنى تولد عالم مشترك " (كريب، 2002، صفحة 120)، "ويصبح الاتصال بهذا المعنى البحث عن الأخر والتقاسم" (Wolton, 1997, p. 36)

ومن حقنا هنا التساؤل عن نجاعة الاتصال عبر العالم الافتراضي الذي يغيب فيه التقاسم والعالم المشترك؟ شدد رواد مدرسة التفاعلية الرمزية، وعلى رأسهم جورج هربرت ميد "Mead Herbert George على أهمية التجمع الإنساني في عملية الاتصال"

والذي يقتضي المشاركة مع الآخر، الأمر الذي يتطلب أن يظهر الآخر في "الأنا" وأن يتمثل" الأنا" في الآخر، وبأن نصبح واعين بالانا بفضل الأخر" (Mead, 1963, p. 215)

إن التعليم عن بعد عبر العالم الافتراضي يفتقد للتجمع البشري والتقاسم مع الأخر ومن تم للتفاعل الرمزي المتشكل عبر اللغة والمعاني والصور الذهنية والرموز ما يجعل العملية التعليمية صعبة وغير فاعلة في غياب الأخر ومن تم غياب الانا الذي لا يحضر إلا بحضور الأخر.

وفي هذا المقام يمكن استحضار أطروحات **شرزرجويل** Sherzer Joel طالب (ايمس دال) الذي انتفض على استاذه واضعا اسس تمثل افاقا جديدة في الدراسات الاتصالية، يمكن التأكيد على جزئية واحدة من بين ما قدمه تخدم وتعزز طرحنا هذا حيث أكد شرزر جويل في دراسته للاتصال على ضرورة الأخذ بعين الاعتبار العلاقة المتبادلة بين السبل والوسائل وأنواع الخطابات وأنواع التفاعل" (Joel, 1977, p. 53).

لهذا يضيف (قوفمان) قائلا «عندما يجتمع أفراد في وضعيات ما ...، يدخلون في شكل من أشكال الاتصال ...حتى وإن توقف أحدهم عن الكلام فإنه لا يمكنه أن يمتنع عن الاتصال بلغة الجسد، كما يمكنه ألا يتلفظ بعبارات أو بكلمات، لكنه لا يمكنه ألا يقول أي شيء" (Erving, 1963, p. 267)إن العلاقة المتبادلة بين الوسائل وانواع التفاعل تفسر لنا بقوة ضعف وفشل التعليم عن بعد الذي فرض وسائل اتصال مختلفة جوهريا عن التي اعتاد عليها الطلبة وهو ما يبرر التفاعل السلبي للطلبة مع هذه الوسائل.

ثالثا: الاتصال وثقافة المشافهة

تعتبر ثقافة المشافهة من المواضيع التي استأثرت اهتمام كثير من الحقول في العلوم الاجتماعية والإنسانية كعلم الاجتماع، والأنثروبولوجيا، وعلم اللغة، والأدب...الخ. في ظل اكتساح ثقافة الكتابة والصورة مع تطور وسائل الاتصال الحديثة. حيث صار هذا الموضوع مجال خصب لدراسات متعددة حاولت انصاف

هذا النوع من الاتصال، ونذكر في هذا المقام الباحث كلود حجاجي**Hagège Claude** الذي يؤكد على ان الاتصال الشفوي هو الاتصال الوحيد القادر على الحفاظ على المعنى الأصلي" الذي تم اهماله مع اختراع الكتابة أين صارت هذه الأخيرة متهمة بحجب الممارسة الحية للكلام" (Claude, 1985, p. 109).

إن هكذا طرح يجزم بأهمية المشافهة في انتاج معاني واضحة ودقيقة لا يمكن ان توفرها الكتابة وهو الحال بالنسبة للتعليم الذي يعتمد على الحضور وثقافة المشافهة، اين تنتج المعاني

في شكلها الأصلي عكس ثقافة الكتابة التي يوفرها التعليم عن بعد والتي ترسم كلمات بلا روح بل بلا معنى في غياب الشفاهي وثقافة الحضور. يبرر كلود حجاجي طرحه في تثمين الاتصال الشفوي ومنحه الامتياز. هو أن " الاتصال الشفوي متعدد العوالم، يمتلك خاصية رئيسية، لا يمكن لأي نسق كتابة مهما كان معروفا أن يمتلكها، وهي خاصية النبرة، والتي غالبا ما تنظم الخطاب الشفوي إلى بنية متناغمة في شكل استرسالي، أين يتم القاء الرسالة بشكل مختلف عن شاكلة الجمل العارضة التي تعرفها الكتابة"(Claude, 1985) .

إن الكتابة والصورة حسب حجاجي يشتركان في ميزتان أسا سيتان هما: الاختزال والاختصار، "ولذلك يقر بأن الشفوي كالإشارات هي أقرب إلى الكلام، لأن الاتصال الشفوي يدخل ذات الإنسان كلها في نبرة شاملة وكلية، فتفضيل الكلام هو تفضيل أولا وقبل كل شيء للاتصال وجها لوجه"(Claude, 1985) .

إن قوة الاتصال الشفاهي إذا تكمن في الصوت في المقام الاول هذا الأخير المتبوع بالإيقاع، ثم الجسد بحركاته وايماءاته وايحاءاته، وبالتالي يصبح الاتصال لساني، سمعي، فيزيائي معروف الهوية لكلا الطرفين، فلا يهم ما يقال بقدر ما يهم من يقول؟ وكيف يقال؟

II. خاتمة:

ما يمكن قوله في النهاية ان البحث والتنقيب في الفعل الإتصالي ليس بالأمر الهين ولا يمكن ان يكون بمعزل عن العلوم الاجتماعية باعتبار الاتصال تجربة ثقافية اولا وقبل كل شيء، واي تناول لظاهرة الاتصال بعيدا عن هذا السياق هو ترف فكري انتاجه سطحي وهزيل لا يقدم أي اضافة للمعرفة العلمية، خاصة وان كثير من البحوث والدراسات في الاتصال والاعلام عجزت لحد الأن من التملص من الطرح التقنوي التلغرافي على حد تعبير إيف وينكي.

الإحالات والمراجع:

أولا: المراجع باللغة الأجنبية

1. Claude Lévi Strauss : Anthropologie et communication, minuit 1984, p83.
2. Daniel, Bougnoux, Introduction aux sciences de la communication. Editions la Découverte Paris – France 1998 p.116
3. Dominique Wolton penser la communication Editions Flammarion. Paris. France 1997P36.
4. Georg Herbert Mead : L'esprit, le soi et la société. PUF. France 1963 PP275-276
5. George Herbert Mead : L'esprit, le soi et la société. Paris PUF 1963 p.215
6. Goffman Erving, Behaviors in public places. New York, NY: Free press 1963 P267.
7. Hagège Claude, 1) l'Homme de parole Fayard/ Paris France 1985 P109.
8. Maffesoli Michel, La logique de la domination, Puf, Paris,1978
9. Massenzio Marcello : Sacré et identité ethnique, frontière et ordre du monde, trad de l'italien par Federico Giardini et Valérie Giardini ; EHESS, Cahiers de l'homme, ethnologie, géographie, linguistique, nouvelle série xxxv, France,1999 p 146.
10. Pierre Bourdieu، le sens pratique Minuit ،Paris 1980, p25.
11. Sherzer Joel, « The ethnography of speaking: A critical appraisal », in SAVILLE-TROIKE, M. (ed), Linguistics and Anthropology. Georgetown, U. Round Table on languages and linguistics 1977, P53
12. Yves Winkin : Anthropologie de la communication. De la théorie au terrain. De Boeck Université de Bruxelles 1996. P10.

ثانيا: المراجع باللغة العربية

1. إيان كريب، النظرية السوسيولوجيا من بارسونز إلى هابرماس، ترجمة محمد حسين غلوم دار المعرفة،2002، ط 2، ص 120
2. عكروت فريدة، مفهوم الفضاء وتمثلاته الاجتماعية، مجلة الصورة والاتصال فبراير2018 العدد 22، جامعة مستغانم 76
3. محمد بن علي المحمود، التقليدي جدلية الإنسان والمكان جريدة الرياض ،21 رجب 1429 ه،24 يوليو 2008، العدد40 ص45.